الشريط السابع

ينبغي أن تُرَاعَى أيضا هل ذكرها في أولها أو لم يذكرها.
المقصود من هذا أنَّ الله Y قال ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[الأحزاب:40]، وفي القراءة الأخرى التي قرأ بها ستة من السبعة القراء ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾، وفي هذه الآية دِلالة على أنّ النبي ﷺ خُتِمَتْ به النبوة.
وخَتمُ النبوة يدل على خَتم الرسالة من باب أولى عند من يقول إنَّ الرسول أرفع رتبة من النبي وأنَّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.
وهو من قبيل دِلَالَة المساواة عند من يقول إنَّ الرسول والنبي بمعنى واحد.
والآية تدل على التفريق؛ لأنه قال ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾.
وفي السنة دلَّت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ على أنَّ بعثته بها خُتِمتْ الرسالات والنبوات، فثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال من حديث ثوبان (**إِنَّهُ سَيَكُونُ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يدّعي أَنَّهُ نَبِيّ - أو كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيّ-، ولا نَبِيّ بَعْدِي**)[1]، وأيضا دل قوله ﷺ في ما في الصحيح (**إِنَّه لاَ نَبِيّ بَعْدِي**)[2] على ذلك، ودل أيضا قوله ﷺ فيما رواه بعض أصحاب الصحيح وبعض أصحاب السنن؛ بل هو في مسألة ستأتي ليس فيها لفظ الختم.
المقصود أنَّ الأدلة من السنة التي فيها ذِكر ختم النبوة كثيرة متنوعة دالة على ما دلت عليه الآية من أنَّ رسول الله ﷺ به خُتِمَتْ النبوة وكما ذكرنا لكم أنَّ هذا إجماع.
إذا تبين ذلك ففي هذا البحث مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ قوله Y ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾[الأحزاب:40]، بكسر التاء، هو فاعل من خَتَم، خَتَمَ الشيء يختِمه فهو خاتِم له؛ يعني جاء آخراً فخَتَمَهُ فهو الآخر منهم.
وهذا دلّ عليه قوله ﷺ (**وأنا العاقب**)[3] يعني الذي لا نبي بعده، وأما قوله Y ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ بالفتح ففسره العلماء على أوجه منها:

- ❐ أنَّ الخاتَم في هذا ﴿**خَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ أنه كالطَّابَع على مسألة النبوة، والطَّابَعْ على الشيء يأتي آخر ما يأتي، فالذي يُرْسِلْ الرسالة يجعل الخَاتَم آخر شيء، فتكون دلالة ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ دالة على أنه هو الآخر؛ لأنَّ الخاتم إنما يأتي آخره.
- ❐ وفيه أيضا أنَّ الخاتم هو زَيْنُ الشيء وما يُتَزَيَنُ به، فهو البارز حلية وزينة وفضلا.

وهذا الوجه ذكره الشوكاني وغيره.
فدلّ هذا على أنَّ القراءتين ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ**﴾، والقراءة الأخرى ﴿**وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ أنَّ دلالتهما على ختم النبوة واحداً، وأنَّ قراءة ﴿**وَخَاتَمَ**﴾ تزيد على القراءة الأخرى بزيادة معنى وفضل دِلالة.

المسألة الثانية:

أنَّ مسألة ختم النبوة الكلام فيها راجع إلى بعض الكلام في مسألة النبوة والنبي والرسول التي مرت معنا.
وذلك أنَّ مِنْ الأفراد المنتسبين إلى الفلسفة وإلى الصوفية الغالية مَنْ قال إنَّ النبوة مُكْتَسَبَة.
وإذْ تُكْتَسَبْ النبوة بأشياء:

- ❐ منها أشياء علمية.
- ❐ ومنها أشياء عملية.

---

[1] البخاري (3609)/ مسلم (7526)
[2] البخاري (3455)/ مسلم (4879)
[3] البخاري (3532)/ مسلم (6251)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

❐ ومنها استعدادات ومواهب فطرية.
كما قد يكون غير الأنبياء مساوين لهم في تلقي الأوامر وتلقي الوحي كما يزعمون.
وهذا القول لا يُنْسَبُ إلى طائفة معروفة بحيث يقال إنَّ الفلاسفة قالوا هذا أو إنَّ الصوفية قالوا هذا؛ بل ربما وُجد عند بعض أفرادٍ منهم.

المسألة الثالثة:

أنّ الكلام على ختم النبوة هو الكلام نفسه على ختم الوحي، فإنَّ النبوة إنما كانت بالوحي.
فمن ادَّعَى أنه يسمع كلام الله Y فقد ادَّعَى أنه يُوحَى إليه.
وانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ دالٌ على أنَّ الوحي لا يكون لأحد بعده ﷺ.
فلهذا كفَّرَ طائفة من المحققين من أهل السنة من ادَّعَى أنه يوحى إليه وأنه يسمع كلام الله Y مباشرة أو بواسطة جبريل ونحو ذلك؛ لأنَّ حقيقة سماع الوحي هي حقيقة النبوة.
فإذاً من ادَّعَى أنَّهُ يوحى إليه فقد ادَّعَى أَنَّهُ نبي، ولو نفى النسبة عن نفسه.

المسألة الرابعة:

أنَّ ادِّعَاء الوحي كفر كدعوى النبوة، وهذا باتفاق أهل السنة.
فمن ادَّعَى أنه يُوحَى إليه فقد ادَّعَى منزلة النبوة، وهذا يدخل في عدم التصديق بختم النبوة وبالكذب على رب العالمين، وهذا هو الكفر.

المسألة الخامسة:

أنّ ختم النبوة وكون النبي ﷺ خاتِم الأنبياء وخَاتَمَهُم لا يعارض نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فإنّ نبوته عليه السلام كانت قبل نبوة محمد ﷺ، وإذا نزل فالنبوة السابقة ملازمة له عليه السلام، ولكنه يأتي مؤمناً بمحمد ﷺ حاكماً بشريعته، قاتلاً الخنزير، كاسراً الصليب، واضعاً الجزية على النصارى واليهود، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال **(لَيُوشِكَنّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ عيسى بْنُ مَرْيَمَ حَكَما عدْلا. فَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَكْسِرُ الصّلِيبَ, وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ)**[4].
وإذا نزل عليه السلام جَعَل إمام هذه الأمة منها وصلى مأموماً ﷺ، وقال في ذلك **(إمامكم منكم تَكْرِمة الله لهذه الأمة)**[5].

فلا يُنْظَرْ من ادَّعَى بطلان تقرير ختم النبوة بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فإن نبوته والوحي إليه كان سابقا لبعثة محمد ﷺ.
وإذا نزل في آخر الزمان فإنه ينزل حاكماً بالشريعة، حاكماً بالقرآن، مؤمناً بمحمد ﷺ، ولا يوحى إليه بشيء جديد.
الحديث الذي ذكرتُ لكم أُنسِيْتُه، جاء الآن، وهو قوله ﷺ **(مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبياءِ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى دَاراً فَحَسَّنَهَا وزينها إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ منها, فَجَعَلَ النَّاسُ يطوفون بهذه الدار، ويقولون ما أحسنها ما أجملها لو كملت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وبي ختم النبيون)**[6] ﷺ.

<u>قال المؤلف / بعدها (وإمَامُ الأتْقِيَاءِ)</u>
فكونه ﷺ إماماً يعني أنه يُؤْتَمُّ به.
والأتقياء هم صفوة هذه الأمة.
وفي قوله هذا إبطال لقول من قال: إنّ من الأتقياء من قد يخرج عن الائتمام بمحمد ρ كقول بعض غلاة الصوفية من أهل الزندقة الذين رأى بعضهم أَنَّهُ يَسَعُهُ الخروج على شريعة محمد ﷺ كما وَسِعَ الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام.
فكل تقي جاء بعده ﷺ فلا يكون تقياً إلا بالإتمام بمحمد ﷺ.

---

[4] البخاري (2222)/ مسلم (406)
[5] مسلم (412)
[6] البخاري (3535)/ مسلم (6101)

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهذا الإتمام يكون بالإتباع كما قال Y **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[الأحزاب:21]، وقال Y **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**[آل عمران:31].

والأتقياء جمع تقي ، والتقي هو من حَصَّلَ التقوى.

والتقوى في القرآن جاءت على ثلاث مراتب:

❍ المرتبة الأولى:

أن يتقي العذاب المؤبد بتحقيق التوحيد؛ بالإتيان بالتوحيد وبنبذ الشرك وتركه، يعني بالإسلام، وهذه هي التي جاءت في مثل قول الله Y **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾** فخوطب الناس جميعا بالتقوى؛ يعني باتقاء العذاب المُخَلَّدْ بالإيمان بتوحيد الله Y وبترك الشرك والبراءة منه ومن أهله.

❍ المرتبة الثانية:

أنَّ المتقي هو الذي يفعل الواجب ممتثلاً ويترك المحرم ممتثلاً، وهذه هي مرتبة المقتصدين الذين جاء فيهم قول الله Y **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[فاطر:32]، من تَرَكَ المحرم امتثالاً وأتى بالواجب امتثالاً فهو من المتقين؛ لأنَّهُ اتَّقَى العذاب، والعذاب يكون يترك الواجب أو بفعل المحرم.

❍ المرتبة الثالثة:

أن يتقي الله Y بترك صغائر الذنوب وبترك ما به بأس وبترك ما لا بأس به حَذَراً مما به بأس، وهذه هي تقوى الله حق تقاته ، كما قال Y **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾**[آل عمران:102]، يعني خُوفُوهُ واحذروه حق الخوف والحذر، وهذه المرتبة إنما هي للسابقين بالخيرات الذين يتركون المكروهات ويَسْعون في كل المستحبات.

قال بعدها / (وسيّدُ المرسَلينَ).

قوله **(وسيّدُ المرسَلينَ)** معناه أنه ﷺ هو المقدم في المرسلين وهو أفضلهم؛ لأنَّ السيادة فرع الفضل بكمال الصفات المحمودة في السيد.

(وسيّدُ المرسَلينَ) من السيادة كما ذكرنا، والسيادة معناها يجمع أموراً، ومنها أن يكون أمره نافذاً وأن يكون المرجع هو.

وهذا إذا قيل في محمد ﷺ **(وسيّدُ المرسَلينَ)** بهذا المعنى؛ يعني أنه هو المرجع فبالنظر إلى شيئين:

◄ **الأول:** قوله ﷺ **(أَنَا سَيّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ)**[7] وولد آدم داخل فيهم المرسلون.

◄ **الثاني:** أنَّ رجوع الأمر إليه بالنسبة إلى الأنبياء يكون في عَرَصَات القيامة؛ حيث يذهب الناس إلى آدم ثم إلى نوح إلى آخره، ثم يأتون محمدا ﷺ يطلبون منه تعجيل الحساب، فيقول **(أنا لها، أنا لها، فيخر تحت العرش فيحمد الله)**[8] إلى آخر الحديث.

وهنا في معنى السيادة كما ذكرنا، في معنى السيادة التفضيل.

ولهذا بَحَثَ الشارح هاهنا ابن أبي العز مسألة التفضيل بين الأنبياء في هذا الموضع؛ لأنَّ من فروع السيادة أو من أسباب السيادة الفضل.

وكون النبي ﷺ سيد المرسلين حق -كما ذكرنا- للدليل وهو قوله ﷺ **(أَنَا سَيّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ)**.

إذا تبين ذلك ففي المسألة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ التفضيل بين الأنبياء جاء به النص كما قال Y **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى**

---

[7] مسلم (6079)/ أبو داود (4673)/ الترمذي (3148)/ ابن ماجه (4308)

[8] البخاري (7510)/ مسلم (500)

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ANIC THOUGHT

بَعْضٍ﴾[البقرة:253]، والرسل كثيرون وأفضلهم أولو العزم من الرسل وهم خمسة: نوح ثم إبراهيم، -يعني في الزمان- نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في سورتي الأحزاب والشورى.

وهؤلاء الخمسة أفضلهم محمد ﷺ، فقد فُضِّل إبراهيم بالخُلّة **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾**[النساء:125]، والله Y جعل محمدا ﷺ خليلاً له، فَفَضْلُ إبراهيم جاء لمحمد ﷺ، وفُضِّل موسى بالتكليم ومحمد ﷺ أيضا مُكَلَّمٌ كما في حديث المعراج.

المسألة الثانية:

أنَّ الفضل والتفاضل والتخيير بين الأنبياء له حالتان: حالة عامة وحالة خاصة.

➥فالحالة العامة:

يجوز فيها ذلك بمعنى أن يقال محمد ﷺ أفضل المرسلين سيد المرسلين، أشرف الأنبياء والمرسلين.

➥وأما في مقابلة نبي بحسب شخصه في مقابلة نبي بذاته:

فهذا يكون خصوص فلا يجري التفضيل على وجه الاختيار، ولهذا جاء في السنة أنَّ النبي ﷺ قال **(لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعَقون يومَ القِيامةِ فأكونُ أولَ مَن يُفِيقُ, فإذا أنا بموسى آخذٌ –أو قال باطش- بقائمةٍ من قوائم العرشِ, فلا أدرِي أأفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطّور)**[9] فقوله ﷺ هنا **(لا تخيروني على موسى)** وفي رواية **(لا تفضلوني على موسى)**[10] دلّ على عدم جواز التفضيل الخاص.

المسألة الثالثة:

أنَّ هذا البحث وهو بحث التفضيل بين الأنبياء جاءت فيه أحاديث، منها هذا الحديث **(لا تفضلوني على موسى)**، **(لا تخيروني على موسى)**، ومنها حديث عام **(لا تَخَيَّرُوا بين الأنبياء)**[11]، ومنها حديث خاص بيونس عليه السلام وهو قوله ﷺ **(لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى)**[12] وفي رواية قال **(من قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كذب)**[13]، وهذا اختلفت فيه أنظار العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث والتفضيل وما جاء في القرآن من قوله تعالى **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾**[البقرة:253]، وأحسن الأجوبة على ذلك أن يقال:

❍ **أولا**: أنَّ قوله **(لا تخيروني على موسى)** هذا قاله لسبب قصة وردت، وهو أنَّ اليهودي والمسلم اختلفا فافتخر اليهودي على المسلم بموسى، والمسلم ردّ على اليهودي ولطمه؟

فإذاً يكون النهي إذا كان التفضيل الخاص جاء على جهة العصبية والحمية والفخر، ولهذا جاء في الحديث **(أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ)**[14]، فدلّ على أنَّ التفضيل إذا كان مورده الفخر والعصبية فإنه يمنع منه.

❍ **ثانياً**: أنَّ جهات الفضل متنوعة، والتفضيل من جهة الجنس؛ جنس الفضائل سائغ، ومن جهة كل فَضيلة بحسبها متعدد، ولهذا يقال إنَّ تفضيل محمد ﷺ من جهة مجموع الفضائل، ولا يُنَصَّ على أَنَّهُ أفضل من غيره من الرسل في كل فضيلة عند جميع الرسل؛ يعني من حيث النظر العام.

---

[9] مسلم (6302)

[10] البخاري (3414)/ مسلم (6300)

[11] البخاري (4638)

[12] البخاري (3395)/ مسلم (43)

[13] البخاري (4604)/ الترمذي (3245)/ ابن ماجه (4274)

[14] سبق ذكره (114)

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثالثاً: أن يقال إنَّ التفضيل بين الأنبياء لا حاجة إليه؛ لأنَّ الأنبياء والرسل رسالتهم واحدة، والله Y وَصَفَ المؤمنين بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله، والرسل وَصَفَهُم النبي عليهم الصلاة والسلام بقوله **(الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى)**[15]، وتوَلِّي الرسل جميعاً فرض، ومحبتهم جميعاً فرض ، فإذاً الدخول في التفضيل دخول فيما لا طائل تحته، فالواجب أن يُبْقَى في ذلك على النص وهو ما ذكرناه أولاً من التفضيل العام دون التفضيل الخاص.

أما قوله ﷺ **(من قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كذب)** فهذا لأجل أَنَّ بعض الناس قد يظن أَنَّ يونس عليه السلام فعل ما يُلامُ عليه، وأَنَّهُ عُوقِبَ بأن كان في البحر وفي بطن الحوت، ثم قال: **﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[الأنبياء:87]، فقال إنَّ هذه الكلمة ربما تكون لمن فعل شيئاً يُلَامُ عليه وعوقب، فقال: إنَّ يونس بن متّى قالها لأنَّهُ فَعَلَ ما فعل.

وهذا في الحقيقة غلط؛ لأنه لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى، كما قال ﷺ، فيَتْرُكْ الدعاء بهذا الدعاء العظيم **﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**، فهذا قد دعا به آدم عليه السلام، ودعا به موسى عليه السلام، ودعا به غيرهما من الأنبياء والمرسلين.

فإذاً هذا الدعاء وحال يونس بن متّى ليس فيها نص في حقه عليه السلام - أعني يونس بن متّى عليه السلام - ، فإذاً لا ينبغي أن يقال إنَّ فلانا أفضل من يونس من جهة الاستحباب، لا ينبغي أن يقال ذلك، يعني لا ينبغي أن يقال إن محمداً أفضل من يونس بن متّى على جهة الاستحباب، والدليل دلّ على عدم الجواز فيمن يقوله لنفسه فلا يجوز لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متّى. والنبي ﷺ ترك ذلك، وهو أكمل الخلق عليه السلام.

هذا البحث ربما لم تظهر حاجتُه لكن بحَثَه العلماء في هذا الموضع؛ لأنَّ هناك مِن مَن يعتقد الكمال في الوَلاية من يظن أنّ حالتَه أرفع من حالة يونس بن متّى عليه السلام.

قال / بعد ذلك (وحَبيبُ ربِّ العالَمين).

فوصف النبي ﷺ بأنّه **(حَبيبُ ربِّ العالَمين)**، والمحبة، محبة رب العالمين، محبة الله Y لنبيه ﷺ هذه متحققة، وإنما نُظِرَ في مسألة الخُلَّة.

والمحبة لفظ عام يدخل تحته مراتب في اللغة، وأعلى مراتب المحبة الخلّة.

فالتعبير بـ**(حَبيبُ ربِّ العالَمين)** عند المصنف مال إليه لأجل ما ورد في بعض الأحاديث **(أنّ إبراهيم عليه السلام خليل الله ومحمد حبيب رب العالمين)**[16].

والجواب أنَّ الاقتصار على مرتبة المحبة العامة للنبي ﷺ هذا قصور؛ لأنَّهُ ﷺ هو حبيب رب العالمين وهو خليل رب العالمين أيضاً.

فإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن كما قال Y **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾**[النساء:125]، وكذلك محمد ﷺ خليل الله كما ثبت ذلك في السنة، قال ﷺ **(لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً أحدًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، إِنّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرحمن** -أو قال **خَلِيلُ اللهِ-)**[17] فدل هذا مع أحاديث أُخَرْ في الباب على أنَّ المحبة ثابتة للنبي ﷺ، وفوقها مرتبة الخلة ثابتة له ﷺ.

إذا تبين ذلك ففي هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ المحبة بمراتبها التي تضاف إلى رب العالمين Y إنما هي ما ورد.

- وبعض الناس غَلَوْا في ذلك فوصفوا الله Y بكل مراتب المحبة، وهذا باطل وغلو.

---

[15] سبق ذكره (5)

[16] الترمذي (3616)/ سنن الدارمي (47)

[17] مسلم (1216)/ ابن ماجه (141)

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ANIC THOUGHT

- وبعضهم جفا كالجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم فنفوا المحبة بمعناها الظاهر وما يكون من مراتبها؛ فنفوا حقيقة محبة الله لعبده ونفوا حقيقة اتخاذ الله Y لعبده خليلاً، وأوَّلوا ذلك كما سيأتي في مواضعه في بيان أصولهم في الصفات.

وأهل السنة والجماعة بين هاتين الطائفتين فلم يغلو في المحبة؛ يعني في محبة الله لعبده ولم يكونوا من الجفاة في ذلك، بل سلكوا الأصل الذي أصَّلُوهُ وأنَّ هذه المسائل تبع لما ورد في النصوص.

فمن المراتب، مراتب المحبة التي جاءت في النصوص وتُثبت لله Y:

❐الإرادة الخاصة التي هي بمعنى المحبة. ❐والمحبة بلفظها.

❐والمودة. ❐والخلة.

وما ثبت من غير ما ذكرت هذه التي أذكرها الأربعة: إرادة، المحبة، المودة، الخلّة.

المسألة الثانية:

أنَّ من ألفاظ المحبة التي هي من مراتبها لفظ (العشق).

وهذا اللفظ استعمله طائفة من أرباب السلوك فيما بين العبد وبين ربه، فقالوا:

إنّ الله يُعشَقُ ويَعْشَقْ، وقالوا: إنني -يعني المتكلم الذي تَكَلَّمَ- أعشق الله Y.

ولفظ العِشْقْ هو من مراتب المحبة -كما هو معلوم-؛ ولكنه يُمْنَعْ في إطلاقه من العبد على ربه ومن الرب للعبد، وذلك لأمور:

◄**الأول** أنّ لفظ العشق لم يرد في النصوص لا في الكتاب ولا في السنة، لا من جهة العبد لربه ولا من جهة الرب لعبده، فيمتَنِعُ إطلاق هذا اللفظ واستعماله في المحبة لأجل الاتّباع.

◄**الثاني:** -وهو تعليل لفظي أيضا- أنَّ لفظ العشق إنما تستعمله العرب فيما إذا كان لصاحبه شهوة في المعشوق، ومعلوم أنّ الشهوة إنما تكون لمن يَنكِح أو يُنكَح يعني للرجل أو المرأة.

فإذاً استعمال اللفظ في حق الله Y ممتنع لفظاً؛ لأنه لا يستعمل هذا اللفظ إلا في ذلك المعنى.

◄**الثالث:** في رد لفظ العشق واستعماله- من جهة المعنى، وهو أَنَّ العشق فيه من جهة العبد، أو في إطلاقه على من وُصِفَ به فيه تعلُّق بالإرادة وبالإدراك.

فلا عشق يحصل إلا وهو مُؤَثِرٌ في الإرادة بإضعافها ومؤثر في الإدراك بحصول خلل فيه.

ولهذا أجمع أهل اللغة في أنَّ معاني العشق لابد أن يكون في آثارها ما هو نوع اعتداء:

إما على النفس ، وإما على الغير.

- اعتداء على النفس بإضعاف الإدراك أو بإضعاف الإرادة.

- واعتداء على الغير بأنه لو أشعره بذلك فتعاشقا لصار عنده ضعف في الإدراك وضعف في الإرادة.

والله Y لا يجوز أنْ يُقال في محبته إنها تُنْتِجُ ضعفاً في الإرادة أو ضعفاً في الإدراك؛ بل محبة الله Y تبلغ بالعبد -يعني محبة العبد لربه- تبلغ بالعبد كمال الإرادة المطلوبة المحمودة وكمال الإدراك المطلوب المحمود؛ يعني في الإيمان، ولهذا امْتَنَعْ أنْ يوصف الله Y بأنه يعشق عبدَه أو أن العبد يعشق ربَّه.

قال / بعدها (وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى)

وهذا فيه تقرير أنَّ كل دعوى للنبوة بعده ﷺ فهي ضلال وكذب كما قال ﷺ في حديث ثوبان **(وَإِنّهُ سَيَكُونُ بعدي كَذّابُونَ ثَلاَثُونَ كُلّهُمْ يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ، وإنه لا نَبِيّ بَعْدِي)**[18] فكل دعوى للنبوة كذب ولا شك؛ للإجماع المنعقد على ختم النبوة بمحمد ﷺ كما ذكرت لك من قبل.

قوله **(وَهَوى)** يعني أنها ناشئة عن الهوى وليس ثَمَّ شبهة فيها، يعني من ادَّعَى النبوة فلا شبهة له، وإنما هي هوىً مُجَرَّدْ فلن ينزل عليه وحي ولن يكون معه معجزات -معجزات نبوة من عند الله- وإنما هي هوى، وقد يُسَخِّر الشياطين لنفسه فتعينه ببعض الخوارق إلى آخر ما ذكرنا في

[18] سبق ذكره (110)

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

البحث السابق في الدرس الماضي.
(دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ -ﷺ- فَغَيٌّ وَهَوى) يعني وكفر.
والذي يَدَّعِي أَنَّهُ نبي أو أنه يُوحَى إليه أو أنه رسول فإنه كافر يجب قتله.
وهل يستتاب فتقبل توبته إن تاب ؟
هذا مبني على خلاف العلماء في قبول توبة الزنديق.
والذي يُرَجَّحُ في هذا أنه لا تُقْبَلُ توبته ظاهراً، فإن كان صادقاً في الباطن فإنَّ الله Y يقبل توبته، لكن ظاهراً لا تُقْبَلُ توبته بل يجب قتله.
وهذا هو الراجح وهو الصحيح، فيُقْتَلُ لما ادَّعَاهُ من النبوة ولو قال إني تبت ظاهراً.
وذلك لأنه قد يَدَّعِي ثانٍ وثالث ورابع وخامس كل يَدَّعِي النبوة والرسالة ثم يقول: تبتُ فيكون في ذلك خلل في الأمة.
فإذاً الزنديق الذي يُظْهِرُ الكفر، يسب الله Y أو يسب رسوله ρ أو يَدَّعِي النبوة أو أشباه هذه الأشياء أو يَدَّعِي الوحي، فهذا يُقْتَلُ على كل حال ولا تقبل توبته.
الجملة الأخيرة قال / (وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنّ وكَافَّة الوَرَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضّياء).
قوله **(وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنّ وكَافَّة الوَرَى)** يعني أنه ﷺ هو المبعوث إلى الجن والإنس أجمعين.
وبعثته ﷺ للإنس والجن جميعاً ذَكَرَ عدد من أهل العلم الإجماع عليها، فنُقل عن ابن عبد البر وعن ابن حزم في [الفِصَل] أنهم ذكروا الإجماع على عموم بعثة النبي ﷺ للجن والإنس، وذكرها تقي الدين السُبْكِي أيضا في رسالة خاصة في عموم رسالته ﷺ.
والدليل على ذلك - يعني على عموم بعثته - الدليل على قول المؤلف **(وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنّ وكَافَّة الوَرَى)** أدلة كثيرة من القرآن ومن السنة:
فمن القرآن:
❍ **الدليل الأول:** قوله Y **﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾**[الأنعام:19]، والإنذار بلغ الجن كما في آيات أخر، فإذاً هو نذير للجن وللإنس.
❍ **الدليل الثاني:** قوله Y **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾**[الفرقان:1]، والعالَمُون اسم لكل ما سوى الله Y، وخرج من ذلك الملائكة على الصحيح كما سيأتي، فيكون من العام المخصوص، والعام المخصوص دالّ على ما بقي بعد التخصيص كما هو معلوم، فيكون كل الجن والإنس داخلين في لفظ العالمين ولم يُستثنوا ولم يخرجهم دليل فيبقون داخلين في عموم النِّذارة.
وهذا الدليل أعْتُرِضَ عليه بأن قوله Y **﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** لأنَّ هذا هو القرآن وليس هو بمحمد ﷺ، وهذا وإنْ كان وجها لاحتمال رجوع الضمير في قوله **(لِيَكُونَ)** للقرآن في قوله في أوله **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ- يعني القرآن- لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)** فهذا الوجه وإن كان محتملاً؛ لكنه خلاف الأَولَى، والأَولَى عند أهل العربية أَنَّ الضمير يرجع على أقرب مذكور وهو قوله **﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾**، **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ** –عبدُه- **لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)**.
❍ **الدليل الثالث**: قوله Y في سورة الأحقاف **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(29)قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾**[الأحقاف:29-30]، إلى آخر الآيات .
❍ **الدليل الرابع:** قوله Y **﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾**[الرحمن] يعني للجن وللإنس.
❍ **الدليل الخامس:** قوله Y **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾**[الجن:1-2]، وبعثة محمد ﷺ إلى الجن والإنس جميعاً دلَّت عليها هذه الأدلة.

الشريط السابع

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال بعض العلماء إنها في القوة وفي عدم الاعتراض ممن خالف مُرَتَّبَة في قوتها بحسب ترتيب المصحف، فأقواها آية الأنعام، ثم آية الفرقان، ثم الأحقاف ثم الرحمن ثم آية الجن، وهذا وجيه.

والأدلة من السنة أيضاً على عموم بعثته ﷺ للجن والإنس كثيرة معروفة، منها:

قوله ﷺ **(كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعِثت للناس كافة)**[19]على لغة من يُدخل الجن في لفظ الناس، وسيأتي زيادة بيان لذلك.

وثبت أيضاً في الصحيح أنه ﷺ قال **(بعثت للأحمر والأبيض)**[20]قال بعض العلماء يدخل في قوله الأحمر الجن لأنهم مخلوقون من نار، والنار صائرةٌ إلى الحمرة أو لونها مائل إلى الحمرة.

وغير ذلك من الأدلة التي تدل على عموم بعثته ﷺ للجن والإنس.

أما عموم بعثته ﷺ للإنس جميعاً، للناس جميعاً فثَمَّ آيات كثيرة.

إذا تبين ذلك في معنى قول المصنف وفي دليله، وأنَّ هذه المسألة ذَكَرَ عليها غير واحدٍ الإجماع فثمَّ في هذه الجملة مسائل:

المسألة الأولى:

أنَّ قوله Y **﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾**[الأنعام:130] قوله **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾** هذا على جهة التغليب لأنَّ الجن والإنس اجتمعا في شيء وافترقا في أشياء.

فاجتمعا في التكليف، فلذلك صحَّ أن يشتركا في التثنية **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾** لاشتراكهما في أصل التكليف **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[الذاريات:56] والاشتراك في الجنس ولو اختلف النوع فإنه يُبقي الدلالة الأغلبية صحيحة.

وقال بعض السلف: إنَّ الجن يكون منهم رسل.

ولكن هذا القول ضعَّفَهُ جماعة كثيرون من أهل العلم من التابعين فمن بعدهم.

قال ابن عباس τ **(الرسل من الإنس ومن الجن النُّذُر)**[21].

أخذ هذا من قوله تعالى **﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾**[الأحقاف:29].

المسألة الثانية:

أنَّ بعثة النبي ﷺ قيل فيها إنها تشمل الملائكة، وذلك لعموم قوله **﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** وهذا ليس بجيد، هذا القول ليس بجيد؛ بل يترجح أنّه غلط وذلك لأمور:

❍ **الأول**: أنّ قوله Y **﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** هذا فيه الإنذار، والملائكة مقيمون على عبادة الله Y وعلى توحيده وعلى تسبيحه كما قال ﷺ **(أَطَّتْ السّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ سَاجِد أو مَلَكٌ راكع)**[22] فالملائكة موحدون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، الملائكة عُبَّادْ لله Y، الملائكة متقربون إلى لله Y ، ومن كانت هذه حاله فلا يصلح له الإنذار.

ولهذا قوله Y **﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** ليس فيه دليل لمن ذهب إلى أنّ بَعثة النبي ρ عامة للجميع؛ لأن الآية فيها تعليق بالإنذار والملائكة لا يُنْذَرُون.

❍ **الثاني**: أنَّ الملائكة جنسُهم أو نقول منهم من أتى بالرسالة إلى محمد ﷺ وهو جبريل عليه السلام، وأمَرَهُ أن يُبَلِّغها للناس، ودخول الآمِرْ في مثل هذا في الأمر يحتاج إلى دليل؛ لأنّ الأصل أنّ الآمِرْ إذا أَمَرَ غيره فإنه لا يدخل في الأمر، فطلب من النبي ﷺ أنْ يُعلن الرسالة للناس جميعا بل للثقلين ، فإدخاله -إدخال جبريل- عليه السلام يحتاج إلى دليل.

---

[19] البخاري (335)/ النسائي (432)

[20] لم أجده بهذا اللفظ وإنما وجدت (بعثت إلى كل أحمر وأسود) وهو في مسلم (1191)

[21] تفسير ابن كثير (الأنعام:130)

[22] الترمذي (2312)

This file was downloaded from QuranicThought.com

O الثالث: أنّ الملائكة ﴿**يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾[الشورى:5]، ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[غافر:7]، وهم أنصار الأنبياء يُرْسِلُهُم الله Y إليهم لنصرتهم وهم أولياؤهم، وهذا يدل على أنهم خارجون عن الاتّباع؛ لأنهم لو كانوا تابعين لصارت نصرتهم للنبي ﷺ وللمؤمنين مُتَعَيِّنَة بلا أمر لأجل عَقْدِ نُصْرَةْ الرسالة.

قال هنا (**المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى**)، (**وكَافَّةً**) هذه في إضافتها للورى - الوَرَى يعني الناس- صحيحة، وجاءت في لغة قليلة عن العرب، واستعملها عمر بن الخطاب τ وهي صحيحة، خلافا لمن قال إنَّ (**كَافَّة**) لا تُسْتَخْدَمْ إلا منصوبة على وجه الحال - يعني أن تكون حالاً - كما قال Y ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[سبإ:28]

فالأصل أن تكون منصوبة حال، ويجوز أو في لغة قليلة استُعْمِلَتْ مضافة.

قوله (**بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء**) هذه الأربع أوصاف وأسماء للقرآن.

وبهذا نختم هذا الدرس.

أسأل الله Y أن يجعلنا من أتباع محمد ﷺ.

مباحث النبوة سبق أن ذكرنا لكم أنها لم تُجْمَع في كتاب عام لكل مباحث الأنبياء تعريف النبي والرسول والمعجزات والبراهين وختم النبوة والرد على المخالفين في كل ما يتعلق بالنبوات، ولا شك أنَّ الحاجة داعية إلى ذلك، فهذه مباحث قد لا توجد في كتاب مجموع، لهذا حبذا لو يتوجه إلى هذا البحث بجمع كل مسائل النبوة، بعض طلبة العلم حتى يكون تناوله يسيرا في أيدي إخوانهم من طلبة العلم.

نكتفي بهذا القدر.

الأسئلة

س1/ ما حكم تكفير الكافر المعين والحكم عليه بالخلود في النار بعد الممات، وما معنى قول أهل السنة ولا نشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له، إلى آخره؟

ج/ الجواب: أنَّ قول أهل السنة ولا نشهد لأحد بجنة ولا بنار إلا من شهد له رسول الله ρ؛ يعني من هذه الأمة من المنتسبين للقبلة، أما المشرك الأصلي أو الكافر اليهودي أو النصراني فإنه يستصحب الأصل الذي كان عليه؛ فإذا مات على الكفر فإننا نقول هو كافر ومات عليه وهو من أهل النار، والنبي ﷺ قال لنا (**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**)[23] أبشر بالنار، هذا لا يدخل في قول أهل السنة لأنَّ المقصود من ذلك أهل القبلة، لا نشهد لمعين بجنة من أهل القبلة ولا لمعين من أهل القبلة بنار، إلا من شهد له الرسول ﷺ في الذين يدخلون الجنة وفي الذي غلّ وفي الذي قتل نفسه؛ وجَعَ نفسه بحديدة ونحو ذلك، من شهد عليه رسول الله ρ بنار من أهل القبلة فنشهد عليه بالنار وأما المشركون والكفار من أهل الكتاب فلا كرامة لهم فإذا ماتوا شهدنا عليهم بالنار وكفَّرْنَاهم في حياتهم وبعد مماتهم، ولا يقال في حقهم لا نكفر إلا من بلغته الحجة أو لا نشهد عليهم بالنار إلا من قامت عليه الحجة ونحو ذلك، كما بينا ذلك مرة في هذا المسجد حينما رددت على صاحب مقالة كفرية.

س2/ هل الملائكة أفضل أم الأنبياء؟

ج/ يأتينا البحث مطولا إن شاء الله في آخر العقيدة الطحاوية، والجواب باختصار الأنبياء أفضل من الملائكة.

س3/ هل يُقال أن أفضل الصحابة أبو بكر وأفضل أمة محمد عيسى عليه السلام؟

ج/ الجواب أنَّ عيسى عليه السلام نبي من الأنبياء ومن أولي العزم من الرسل، وأيضا يصدق عليه حد الصحابي، ولذلك يُلْغِزُ بعض العلماء يقول مَن مِن هذه الأمة من هو أفضل من أبي بكر؟ فيقال عيسى عليه السلام، من جهة أنه لقيه، لقي النبي ﷺ لما أسري به وآمن به وإذا نزل يكون مؤمنا وحاكما بشريعة محمد.

---

[23] ابن ماجه (1573)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

الأسئلة

س1/ ما هو الفرق بين الفعل لله والصفة لله، ما هو الفرق بين الاسم والمسمّى مع الأمثلة؟ وحبذا ذِكر المرجع الذي تكلم عن هذه المسألة؟

ج/ الجواب: الفرق بين أفعال الله وصفاته أنَّ الأفعال مشتملة على صفة وعلى زمن؛ لأنَّ الفعل يشتمل على حدث وعلى زمن، والحدث هذا وصف، ولما كان كذلك كان الفعل المضاف إلى الله Y لا يدلّ على الصفة التي اشتمل عليها هذا الفعل بإطلاق، بل قد يوصف الله Y بها وقد لا يوصف؛ لأنّ باب الأفعال أوسع بمن باب الصفات.

مثاله **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾**[الفرقان:59]، فاستواء الله Y صفة أخذناها من فعل استوى؛ لأنَّ استوى مشتمل على حدث وهو الاستواء (الصفة)، ومشتمل على زمن وهو الماضي، ويُثْبَتْ الاستواء هنا صفة لله Y كما يليق بجلاله وبعظمته لأنه متضمن كمالا، فيقال من صفات الله الاستواء على العرش.

مثال الثاني **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾**[الأنفال:30]، **(يَمْكُرُ اللَّهُ)** هذا فعل مضارع مشتمل على حدث على صفة وهو المكر؛ يعني على مصدر وهو المكر، ومشتمل على زمن وهو المضارع؛ لكن لا يقال هذا الفعل يدلّ على إثبات صفة المكر؛ لأنّ صفة المكر ليست دائما صفة كمال، فلهذا قال أئمة أهل السنة رحمهم الله تعالى: إنَّ باب الأفعال أوسع من باب الصفات؛ فقد يضاف الفعل إلى الحق Y ولا تُثْبَتُ الصفة التي تضمنها هذا الفعل، كما أنَّ باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ فقد تطلق الصفة على الله Y ولا يطلق الاسم. من مثل الاستواء والمستوي، وممثل المكر بحق والماكر وأشباه ذلك.

إذاً ثَمّ فرق بين أفعال الله Y وبين صفاته من هذه الجهة.

أما من جهة قيامها جميعا بالله Y فالصفة قائمة بالله Y ولها أثر في الخارج، لها أثر مثل صفة الخلق لها أثر في المخلوق، صفة الرحمة لها اثر في المرحوم، وهكذا، والفعل في تعقله بالله Y قد يكون متعديا وقد يكون لازما.

وللمسألة مزيد تفصيل المقصود أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وأنه لا يطرد القول بالمساواة بيت الفعل القائم بالله Y وبين الصفات القائمة بالله Y.

س2/ما هو الفرق بين الاسم والمسمى؟

الاسم والمسمى إذا اجتمعت فيُعْنَى بها بحث كلامي بحث عند أهل الكلام ودخل فيه أهل السنة رداً على أهل الكلام وبيانا للحق فيها، وإلا فبحث الاسم والمسمى ليس من البحوث الموجودة في الكتاب والسنة ولا في كلام الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما الكلام فيها حادث؛ لكن جرّ إلى الكلام فيها أنَّ المعتزلة خاضوا في ذلك توطئةً لنفي الصفات ولتحريف الأسماء لله Y.

وتلخيص المسألة:

أنّ الاسم مثل: الرحمن، الرحيم، الكريم، ونحو ذلك، المسمى بهذا الاسم هو الله Y، محمد المسمى به رسول الله ﷺ، الكأس اسم المسمى هو هذا الذي ترى.

فإذاً الاسم دلالة عامة والمسمى انطباق هذا الاسم على العين أو على الذات.

إذا تبين ذلك، فإن المسألة التي اختلفوا فيها هي: قولهم هل الاسم عين المسمى أم أنَّ الاسم غير المسمى؟

وهذه المسألة مبسوطة وطويلة الذيول؛ لكن اختصار القول فيها أنَّ مذهب الأئمة أنَّ الاسم لا يطلق القول بأنه عين المسمى ولا أنه غير المسمى؛ بل المسألة فيها تفصيل في دلالة الاسم على المسمى وأنَّ الأسماء مختلفة؛ لأنّ كل اسم يدل على المسمى وزيادة صفة، فهو يدل على الذات ويدل على الصفة التي تضمنها هذا الاسم، كما ذكرنا لكم الرحيم تدل على ذات الله Y المتصفة بالرحمة، والذين قالوا إن الاسم هو عين المسمى جعلوا أنه لا فرق بين الأسماء في دلالتها على المسمّى فجعلوا العليم هو الرحيم مطابقة، وجعلوا الملك هو الودود، ونحو ذلك، بدون تفرقة بين

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الاسم والصفة، يعني جعلوا أنَّ الأسماء دالة على الذات كما قال المعتزلة عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة، وهكذا وهلم جرّاً.

والمسألة فيها طول لكن هذا بيان لأصلها.

س3/ يتعرض كثير من الشباب لبعض الشبهات من خلال دراسته للعقيدة والفِرَقْ، أرجو حل هذه المشكلة كيف يتعامل الشخص مع هذه الشبهات؟

ج/ لاشك أن هذا داء وكثير من المسائل يرغب المُعلِّم ربما في تفصيلها للخاصة من طلاب العلم، لكن لأجل حضور من ليس مستواه مهيئا لتلقي العلم العالي فإنه يُحجم، فذِكْرُ المسائل العقدية وذكر التفصيل وكلام أهل الفرق والشبهة وردها حقيقة في الأصل أنه لا يناسب المبتدئ في طلب العلم بل لابد أن يتلقاه من علم أصول أهل السنة والجماعة وفهم مذهبهم وطريقتهم وسنتهم في ذلك بعد قراءته الكتب الأولى، لهذا نوصي دائما بالمنهجية، إذا علم مذهب أهل السنة والجماعة من خلال مثلاً لمعة الاعتقاد كمنهج عام في تقرير مسائل الإيمان بأجمعها؛ عرف مذهبهم في الإيمان، مذهبهم في الصفات، مذهبهم في الأسماء، في القدر، في الغيبيات، في الصحابة، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في ولاة الأمر، وهكذا المسائل التي يعرضونها، في القدر، في اليوم الآخر، فيما يُعْرَضْ، عَلِمَ قول أهل السنة، بعد ذلك ينتقل إلى مرحلة تلي ذلك؛ حتى لا يطَّلِع على بعض الشبهات فيظن أن هذه مؤثرة على مذهب أهل السنة والجماعة، فيُعْرَضْ له شيء من التفصيل من الزيادة بقول أهل البدع مع الرد عليهم، ثم يترقى حتى يتوسع في ذلك.

فلهذا من رأى أن حضوره لمجالس العلم التي فيها تفصيل يورد عليه الشبهات فينبغي له أن لا يحضر وأن يبتدئ العلم من أوله وأن لا يعرض نفسه للشبهة لأن الشبهة ربما استحكمت فأثرت

س4/ هل الرافضة والجهمية ليستا من الاثنين والسبعين فرقة وكيف؟

ج/ أما الجهمية فأهل السنة جميعا على أنهم ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة ليسوا من فرق الأمة.

وأما الرافضة فجمهور أهل السنة على خروجهم من الثنتين والسبعين فرقة، والمقصود من الرافضة الغلاة؛ غلاة الشيعة الذين يلعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، والذين يتدينون بسب الصحابة ويُبْغِضُون بعض أمهات المؤمنين ويقذفون عائشة ونحو ذلك، من معتقداتهم المعروفة.

س5/ ما حكم قول البعض شاءت الأقدار، ساقته الأقدار، اقتضته حكمة الله، شاءت إرادة الله، ونحو هذه العبارات؟

ج/ شاءت الأقدار، الأقدار جمع قدر، والقدر تبع المقدِّر وهو الله Y، والذي يشاء القدر هو الله سبحانه وتعالى، فقول القائل شاءت الأقدار وأشباه ذلك، فإنّ هذا غلط لأن الأقدار ليس لها مشيئة، المشيئة لله Y هو الذي شاء القدر وشاء القضاء سبحانه وتعالى.

وساقته الأقدار هذه محتملة، محتملة لهذا وهذا، وتجنبها أولى.

اقتضت حكمة الله، هذه صحيحة لا بأس بها استعملها أهل العلم؛ لأن الاقتضاء خارج عن الشيء؛ يعني حكمة الله نشأ عنها شيء هو مقتضاها، اقتضت حكمة الله أن يكون كذا وكذا؛ يعني من القضاء الذي حصل؛ يعني أن ما حصل موافق لحكمة الله Y.

شاءت إرادة الله، هذا أيضا مثل ما سبق فإنّ الإرادة الكونية هي المشيئة، فقول القائل شاءت إرادة الله كقوله شاءت مشيئة الله وهو تكرار لا وجه له.

ونرجئ بقية الأسئلة إلى وقتها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وإنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَا بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأنْزلَه على رَسُولِهِ وَحْياً، وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أنَّه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:26]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:25]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر.

هذه الجمل من كلام الطحاوي / اشتملت على:

- ❑ تقرير قول السلف وأئمة الحديث والسنة وأهل السنة والجماعة والأثر في مسألة القرآن وكلام الله Y.
- ❑ وأنّ القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود.
- ❑ وأنّ القرآن ليس بمخلوق.
- ❑ وأنّ من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر.
- ❑ وأنّ من زعم أن القرآن كلام البشر فهو كافر لتواتر كلام[24].

[24] انتهى الشريط السابع.

الشريط السابع

This file was downloaded from QuranicThought.com